

صراع الحضارات والرؤية العربية

الاستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور (*)

مقدمة:

لم يمض على صدور مجلة فورين افيرز الامريكية وهي تحمل بين صفحاتها مقالة صموئيل هنتنغتون حول صراع الحضارات، حتى بدأت الردود العربية تصدر في صفحات هذه المجلة او تلك، وعقدت لذلك العديد من الندوات والحلقات النقاشية التي كان محورها دحض كل الفرضيات و"التنبؤات" التي اطلقها لترويج الافكار والطروحات التي حفلت بها "صراع الحضارات". ومن خلال عدم اتساع هذه الدراسة بكل ما نشر وكتب، فاننا سنقتصر على تناول عدد منها، يساعدنا في تسليط الضوء على الرؤية العربية حول ما طرحه هنتنغتون، مع الاشارة للاطلاع اكثر للمصادر الاخرى التي كرست لهذا الغرض.

وظائفية الخطاب الاستراتيجي الامريكي

يؤكد وجيه كوثراني في رده الذي جاء تحت عنوان: صدام الحضارات ام ادارة ازلمات؟ ان هنتنغتون في الوقت الذي يعترف بالحضارة الاسلامية طرفاً في الصراع العالمي، فانه يدحض نظرية "نهاية تاريخ" التي طرحها فرانسيس فوكوميا، حيث كان محورها انتصار الليبرالية كنهاية لصراع الايديولوجيات في العالم. ويشير كوثراني ان صدام الحضارات هي الدعوة الى نمط من التعايش مع نوع من الازلمات في العالم مرشحة لان تتفاقم وتندوم^(١).

ويضيف كوثراني بأنه بين مقالة امريكية تبشر بنهاية التاريخ ومقالة اخرى امريكية ايضاً تقول ان التاريخ لم ينته، اقل من سنتين، وفي الحالتين نلاحظ ان ثمة ضحجاً اعلامياً، وان ثمة استتباعاً فكرياً ومنهجياً تفرضه مراكز التفكير الاستراتيجي في العالم على التفكير المحلي في اطراف العالم. وهذا "الفرض" او التوجيه الاعلامي يأتي من اجل التفكير في وظائفية الخطاب الاستراتيجي الامريكي وعندما يراد لهذا الخطاب ان يكون حدثاً مركزياً او خطاباً محورياً لادارة النقاش العالمي وتوجيهه^(٢).

١) عبد كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

٢) صدام الحضارات، ملف خاص، مجلة شؤون الاوسط، العدد ٢٠٠١/١٠٤، ص ١٩.

المصدر نفسه، ص ٩٢.

تارج

تاول

خرى

عند

حديثه

نصيرية

ويؤكد بأن الغرب حاول اقتحام الشرق الاسلامي بكل الادوات والاساليب ومنها الثقافية الا انه وجدت ونمت في العالم الاسلامي اشكال الممانعة ذات الابعاد التاريخية والاجتماعية والثقافية. ويتساءل كوثراني هل ان هذه "الممانعة" تسمى صداماً في الحضارات^(٣)؟

ويضيف كوثراني ان عناصر الصدام التي يعدها هنتنغتون ليبنى عليها فرضيته لا تدرج في نسق ومفهوم الحضارات، انها تعبير عن ازمة نظام عالمي يمر في "النقطة الحرجة" التي نجعل منه على حد ما يقوله الباحث الفرنسي الاستراتيجي بيار لولوش Pierre Lelloche "قوضى الامم".

وان ما يقترحه هنتنغتون بصيغة الدعوة الى تعايش الحضارات واحتواء اسباب انفجارها هو نوع من سياسة "ادارة الازمات" في "كوكب الفقراء الذي تتفجر فيه الديمغرافية والثقافات (التي يمتزج فيها الديني والسياسي). واما عن دور مقالته (الجديدة-القديمة) فان كوثراني يصفها، بانها نوع من ادارة النقاش الفكري والثقافي ومحورية حول "مركز الخطاب الاستراتيجي" الامريكي، انه نوع من "ادارة الازمة" من باب الفكر والثقافة^(٤).

وفي الدراسة التي اسهم فيها الدكتور غسان سلامة في الرد على اطروحات صدام الحضارات، والتي جاءت تحت عنوان "الاسلام والغرب"، فانه انطلق من ان خبراء الاستراتيجية الغربيون عكفوا بعد انتهاء الحرب الباردة لتحديد عدو جديد للغرب، ولم يجدوا أي صعوبة في ان الاسلام، في الوقت الذي لم يتوفر لدى هؤلاء الخبراء الا معرفة ضئيلة عن الاسلام من "انه نظام قديم شديد المثالية يدفعه في ذلك جزئياً النفور من الوضع الدولي الراهن"^(٥). ومن خلال استعراضه للاوضاع الحالية للانظمة السياسية العربية التي حصلت على استقلالها من السيطرة الاستعمارية وما واجهته من مشاكل سياسية في اطار التنمية والديمقراطية الامر الذي ادى الى بروز تأثيرات سلبية على ادائها الخارجي، وضعفها، او هزائنها امام العدو الصهيوني، مما يعزز من مكانة بعض التيارات والحركات السياسية الاسلامية التي مثلت البديل لفشل هذه الانظمة "القومية" و"اليسارية"، مما افضى الى ظهور "تحدي اسلامي" برز في السودان، والجزائر، ومصر، ووقفت مع العراق خلال حرب ١٩٩١، ووجدت في ايران الدعم الكافي، وكانت افغانستان الساحة التي كشفت عن قدرة "الاسلاميين" عن الفوز بحرب ضد قوة توسعية خارجية. واستخلص الاسلاميون، وحسب ما يؤكد

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٥) غسان سلامة، الاسلام والغرب، بحث منشور في كتاب صموني هنتنغتون "الاسلام والغرب"، افق الصدام"، ترجمة مجدي شرشر، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩-١٠٠.

سلامة، نوعاً جديداً من الدروس من فصول الرواية الجزائرية في انه: عليكم الا تتقوا في الانظمة المحلية او الحكومات الغربية عن دعوتها لاجراء انتخابات ديمقراطية^(١). ان "ثمار القمع" ضد التيارات القومية والليبرالية والماركسية التي مارستها الانظمة السياسية العربية اوجدت فراغاً سياسياً فكرياً، افسح المجال "للاسلاميين" ان ينزلوا الساحة لتحدي الانظمة والقوة الغربية المتحالفة معها. ومن جانبها يبدو الغرب وقد اصابه "التحدي الاسلامي" بالضيق الكامل كما هو حال حكومات الدول الاسلامية، الا نفاق الغرب وازدواجية معايير جعلته في حالة تخطيط وقصر النظر.

ومن هنا، فان الدكتور غسان سلامة، ومن اجل ان تخرج الحكومات الغربية من نفاقها، وتحدد مخرج واقعي، يجب عليها ان تسعى لمعرفة من هي الجماعات الاسلامية، وماذا تفعل، ولا يمكن تحقيق ذلك اذا ما ظلت وجهات نظر الغرب تجاه التحدي الاسلامي تتبع فقط من منظور التهديد الامني. فغالبية ما ينظر الى الجماعات الاسلامية مجتمعة باعتبارها تمثل تهديداً واحداً للمصالح الغربية. كما انه يجب على الغرب ان يعي ان نموذجه الخاص بالدولة القومية العلمانية ليس نموذجاً عالمياً كما يفترض بل وربما كانت الاشكال الاخرى للمنظمات السياسية اشكالا شرعية وحتى لو كان العالم من الناحية الاستراتيجية قد اصبح عالماً غير متعدد الاقطاب، فانه لا يزال متعدد الاقطاب في المجال الثقافي. وغالباً ما تمت معادلة الانتصار الغربي في الحرب الباردة (كما يدعي فوكوياما) بشكل خاطئ بانتصار النماذج السياسية والثقافية الغربية^(٢).

ويضيف الدكتور سلامة بأن "التهجم الغربي على الاسلام والنماذج السلبية للمسلمين في وسائل الاعلام تثبت في اذهان المسلمين الوهم الجنوني بوجود مؤامرة غربية مزعومة للقضاء على الاسلام. ثم ان بعض الغربيين الذين ينصبون انفسهم خبراء (امثال برنارد لويس، هنتغون...) يخدمون من حيث لا يعلمون مصالح اشد الاسلاميين تطرفاً عن طريق اسرافهم في الحديث عن تفرد الاسلام"^(٣). ويؤكد الدكتور سلامة بأنه ليس بوسع الحكومات الغربية الادعاء بأن معيارها الاخلاقي يفوق معيار القوى المناهضة للغرب، وحكوماته، وانتقائية بالفعل في اختيار الاعداء وكذلك في قرارات الامم المتحدة التي ترغب في تطبيقها، وفي السياسة التي تنتهجها ضد القضايا العربية وهي السياسات غير المنصفة تجاه الصراع العربي-الصهيوني، وتدخلاته العسكرية في المنطقة، حيث ان هذه التدخلات ينظرون اليها في الغرب باعتبارها نتاجاً لمصالح استراتيجية متنوعة الجدوى العسكرية والنواحي الموضوعية، لكن بالنسبة

الثقافية
لتاريخية
داماً في

ي عليها
المي يمر
مترائجي

اء اسباب
تفجر فيه
ر مقالته
، والثقافي
ة الازمة

اطروحات
ق من ان
عدو جديد
دى هؤلاء

نه في ذلك
ناع الحالية
نمارية وما
الى بروز
هيوني، مما
البديل لفشل
ب" برز في
وجدت في
الامين" عن
ب ما يؤكد

١ المصدر نفسه، ص ١٠٩.
٢ المصدر نفسه، ص ١١٩-١٢٠.
٣ المصدر نفسه، ص ١٢١.

للمسلمين فعلى أفضل الاحوال ليست الا تطبيقاً لتقليد قديم بأزدواجية المعايير^(٩). وعلى ضوء ذلك، فإنه يجب على الغرب ان لا يفاجأ بعودة ظهور الكراهية الاسلامية للتدخل، وهذه الكراهية، وحسب رأي الدكتور غسان سلامة سوف تتحول الى "تحد" امني ضد الغرب^(١٠) وفي الندوة التي عقدها معهد اللغة والحضارة العربية في باريس، والتي نشرت مجلة المستقبل العربي اعمالها في عدد كانون الاول/ ديسمبر/ ١٩٩٨، تحت عنوان: صراع الحضارات ام تعدد ثقافات؟، فقد اشارت رباب الحسيني في بداية ادارتها للندوة بأن هناك مقولات عديدة ظهرت في الشارع الفكري والسياسي، كمقولة "النظام الدولي الجديد" وكذلك مقولة "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما التي كان لها نصيب من الرواج بفضل قوة اجهزة الاعلام والترويج الغربية، ثم لم تلبث ان تلقت ما تستحقه من النقد والدحض، شأنها شأن مقولة هنتنغتون حول صراع الحضارات، وفيها ينبأ بأن القرن القادم سوف يحكم الصراع بين الحضارات، وهو قائم على الاختلافات الثقافية والدينية والعرقية. وتلك المقولة تبدو محدوديتها في عدم قدرتها على تفسير الصراعات بين الدول الاوربية التي تنتمي الى الحضارة المسيحية الغربية، وكذلك في عدم قدرتها على تفسير الصراعات بين الصين واليابان في ظل الحضارة البوذية والكونفوشوسية^(١١).

لقد شدد المفكر العربي محمود امين العالم على ان صموئيل هنتنغتون وهو يتحدث عن صدام الحضارات، فان مفهوم الحضارات لديه مفهوم ثقافي خالص بل ديني خالص.. المسيحية هنا والاسلام والكونفوشوسية هناك، ومن خلال استعراضه للعلاقة المفاهيمية بين الحضارة والثقافة، وكيفية تشكل ظاهرة العولمة، وهي نتيجة للطابع التوسعي لنمط الانتاج الرأسمالي، في الوقت الذي تبرز فيه الهيمنة من كونها نابعة من الطابع التنافسي للنمط الرأسمالي، حيث احتدمت صراعات المصالح التجارية بين الدول الرأسمالية حول الاسواق العالمية، والامر الذي ادى من جهة ثانية الى تفجر الاختلافات والتميزات والخصوصيات والهويات القومية والعرقية والدينية والثقافية، ويحتدم الصراع في ما بينها، وبينها وبين الهيمنة الرأسمالية. وعلى ضوء ذلك فليس هناك الا حضارة واحدة ذات نمط رأسمالي، وهيمنة لبعض البلاد الرأسمالية الكبرى على هذه الحضارة العالمية، وفي اطار هذه العولمة والهيمنة تحتل صراعات المصالح التجارية والاقتصادية اساساً، وهناك صراع الهويات والخصوصيات وبين الهيمنة الرأسمالية. وخلاصة القول حسب ما يؤكد المفكر العالم، وهو انه ليس ثمة صراع

(٩) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(١١) صراع الحضارات ام تعدد ثقافات؟، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٣٨، ١٩٩٨، ص ٧٥-٧٦.

حضارات في عالمنا في اطار هذه العولمة الحضارية الرأسمالية. فليس هناك صراع حضاري بين امريكا واليابان رغم اختلافهما الحضاري الكامل تاريخياً، بل يوجد صراع تجاري حاد.. وليس هناك صراع حضاري بين امريكا واوروبا، وليس هناك صراع حضاري بين امريكا وليبيا او بين امريكا وايران او بينها وبين أي دولة أخرى من دول العالم، وان اتخذ هذا الصراع مظهراً قومياً او دينياً او ايديولوجياً.. ان الصراع هو صراع مصالح اقتصادية اساساً من اجل المزيد من التوسع والسيطرة وحل ازماتها الاقتصادية، وطمس الخصوصيات القومية والوطنية والثقافية في البلاد النامية وتوظيفها لخدمة مصالحها^(١٢).

وفي مداخلة السيد ياسين في هذه الندوة، فانه بعد ان يقوم بالتتبع التاريخي الموجز للحوار بين الحضارات، وعن الحوار بين الحضارات ما بعد الحداثة، وعن كونية والعلاقات المتعددة الاطراف واحياء القومية، يتساءل هل هناك صراع بين حضارات؟ ويجيب السيد ياسين بأن سقوط الشيوعية واختفاء الاتحاد السوفيتي اجبر الولايات المتحدة على خلق "عدو جديد" الامر الذي ادى الى ظهور مفهوم الحروب الثقافية. ويشير الى انه في مقالته تحت عنوان "الدفاع عن الغرب" ذكر كاتبها ان الحل امام الغرب هو شن الحروب الثقافية وتكلم عن الاسلام وكان قبل هنتغون باربع سنوات. ويشدد في ذلك بأن هنتغون هو المفتن لما نسميه تيار العنصرية الجديدة في الثقافة الغربية. قمة فكر هذا التيار هو اختلاف الصراع بين الحضارات.. وان الاسلام مرشح لكي يكون هو العدو الاول او الكنفوشيوسية. ويضيف بأن القضية لا تتعلق بالصراع المفتعل وانما تتعلق بالمعركة المقبلة حول انشاء قيم جديدة لنظام عالمي جديد^(١٣).

سقوط الصراعات التاريخية:

وبهذا الصدد فإن عبد النبي اصطيف يرى بأن كتاب صدام الحضارات بما يطوي عليه من تكريس لمناخ الصراع والمجابهة بين الامم والشعوب ولاسيما تلك التي يرى فيها خطراً على "الانموذج الغربي" المزعوم يثير تساؤلات واشكالات لا نهاية لها، تشير جميعها الى جوانب مختلفة من الخلل الذي بات يعتوره التفكير الغربي في تبرره لعالمنا المعاصر. ويضيف بأن هذا الوضع القائم وضع مثالي بالنسبة للغرب انه يكفل له الحفاظ على الهيمنة على مقررات العالم، بل الكون، من خلال "النظام العالمي الجديد"، الذي هو -بحق- نوع متطور جداً من الامبريالية الجديدة ذات الجدوى الاقتصادية الواضحة. ومن اجل المحافظة عليه لابد من ترسيخ فكرة تميز الغرب عن

١. وعلى

لاسلامية

في "تحد"

باريس،

١٩٩٨،

في بداية

كمقولة

كان لها

تلقت ما

ت، وفيها

لاختلافات

لى تفسير

وكذلك في

ة البوذية

غون وهو

خالص بل

استعراضه

هي نتيجة

من كونها

ج التجارية

ة الى تفجر

ة والثقافية،

ذلك فليس

الاية الكبرى

ت المصالح

بين الهيمنة

ثمة صراع

١٢٣. المصدر نفسه، ص ٧٨-٧٩.

١٢٤. المصدر نفسه، ص ٨٥-٨٦.

سائر العالم، وبالتالي تسويغ هيمنته وموقعه وأفعاله فيه. ولا بد كذلك من افتعال صراع مع أي مصدر خطر يمكن ان يشكك في تميز هذا الغرب او في تفوقه. وما دام الخطر العسكري قد زال بزوال الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية التي انضوى معظمها الان تحت لواء حلف شمال الاطلسي، وما دام الخطر الاقتصادي المتمثل بالنموذج الاسيوية قد تم احتواءه، فلا بد من التفكير بخطر آخر، وليكن هذا الخطر هو الخطر الحضاري المتمثل بالحضارات الاخرى التي تحمل قيماً اخرى متباينة لقيم ما يسمى بالحضارة الغربية، وليكن العصر القادم عصر (صدام الحضارات)^(١٤).

ويعتقد استاذ الفلسفة في جامعة دمشق الدكتور طيب تيزيني بأن اطروحة (صراع الحضارات) بقدر ما اثارت سجلاً واسعاً وظهت اراء تفندوها بوصفها "وهماً" او بمثابة "نتائج كبيرة لافكار ووسائل استقرار هزيلة، ومقتبساً نصاً كتبته الاستاذ خالد القسطيني في صحيفة الشرق الاوسط (١٢٣ شباط ١٩٩٥) الذي اكد فيه بأنه (قلماً وجدت بحثاً واهياً يفتقر الى العلم كما وجدته في اطروحة صدام الحضارات)، فان هذه (الاطروحة) تربطها صلة عميقة مع العولمة وما بعد الحداثة، وفي الاشارة الى الاسلام والكونفوشوسية فإن هنتونغ اختزل الحضارة الى دين، ونظر الى هذا الدين بمثابة اشارة signal الى عرق او سلالة، وهذا يؤدي، وحسب رأي تيزيني، الى الغاء التاريخ بوصفه سياقاً مفتوحاً، وهذا من شأنه ان يدخلنا في حقل هوية لا تاريخية او ميتاتاريخية من طرف، وعاجزة في حال صراعها مع هوية اخرى من نمطها، عن تحقيق نمو مثمر مفتوح من طرف آخر. ويضيف تيزيني في معرض نقده ان لقاء مقولة "صراع الحضارات" مع منظومة "ما بعد الحداثة"^(١٥) تتضح احتمالاته، والحال كذلك مع عملية انبعاث الهويات الالتيية، مع تأويل الحضارات على اساس اثني مغلق، وفي ضوء الاعتقاد بأن نمط التعايش فيما بينها يقوم على الصراع وحدة الاضراب وحده. وبالتالي فإن هذا التحليل يفضي الى ان مقالة هنتونغ تلتقي مع جان فرانسوا ليونارد في بحثه ما معنى الحداثة. ففي الحالتين كليتهما، نواجه رفضاً لمفهوم التقدم والانساق او "الانماط" الشكلية^(١٦).

ويؤكد الدكتور تيزيني ان اطروحة "صراع الحضارات" وان اكتسب على يد هنتونغ طابعاً محدداً بمعطيات العولمة الجديدة، فانها كانت ذات حضور ما في الفكر

(14) عبد النبي اصطيف، نقد "صراع الحضارات"، مجلة الاداب السورية/ دمشق العدد 3/4- آذار نيسان/ 2000/ ص 6.

(15) طيب تيزيني، نقد "صراع الحضارات" و"ما بعد الحداثة"، مجلة الاداب السورية عدد 3 و 4 ص 9-10.

(16) المصدر نفسه، ص 11.

البرجوازي. وقد افصح هذا الحضور عن نفسه بأحد أوجهه ذات الخصوصية البالغة الحساسية على صعيد الصراع العربي-الصهيوني.

فلقد كانت المقولة التي أطلقها انور السادات تمهيداً لزيارته الى اسرائيل، وهي: "ان لنا ان نكسر الجدار النفسي بيننا وبين اسرائيل" تعبيراً مكثفاً عن وجهي الأطروحة الهنتغونية المتلازمين: سقوط الصراعات التاريخية وما تستتبعه من بدائل تاريخية على مستوى النظام الاجتماعي الاقتصادي وبرز الصراعات "الحضارية" المفهومية اثناً طائفاً مذهبياً الخ.. وفي هذه الحال، يفقد الصراع العربي-الصهيوني بنيته التاريخية (القائمة على مصالح عظمى تتصل بالوجود) ليتحول الى صراع ملتبس "حضارياً" أي دينياً ثقافياً يمكن رفعه وتجاوزه اذا ما تمت مكاشفة حميمية بين الفريقين^(١٧).

يشير الاستاذ برهان غليون في دراسته "اصل التفاهم بين الاجناس" في اطار نقد "صراع الحضارات" و"حوار الحضارات"، الى ان الاعتراف بالتعددية الثقافية كذلك حوار الثقافات مسألة حتمية او ضرورية. فالعلاقات بين الثقافات هي انعكاس للعلاقات بين المجتمعات. ذلك ان الثقافة ليست هي التي تحاول بل المجتمعات - من ضمنها الافراد المهتمون بالحوار او المسؤولون عن شؤون الجماعة - والعلاقة الطبيعية بين متعددين هي بالضرورة علاقة صراع وتواصل معاً: صراع مع الآخر الغريب، وتواصل مع القريب. فلا قرابة من دون صراع بين الآخر، ولا صراع من دون هوية تبني حدود الذات والقريب والصديق. وموضوع الصراع بين الثقافات او بين الجماعات في الميدان الثقافي، وهو السيطرة على الرأسمال الرمزي الذي يشكل رصيد كل ثقافة، او هو التنقذ الذي يستدعي السيطرة على مواقع استراتيجية في شبكة العلاقات والموارد الثقافية العالية.

وعلى ضوء ذلك، فان غليون يميز ما بين هذا الصراع الذي طرحه، والصراع الهنتغوني، حيث يؤكد بأن مفهوم هذا الاخير الذي يربط الصراع بين الثقافات وبين الحروب او الصدام العام بين الجماعات فتجعل فرضية هنتغون من الاختلاف الثقافي او التعدد الثقافي المصدر الاول للنزاعات والحروب العالمية. ويشير برهان غليون بأنه حسب نظرية هنتغون، مرت البشرية عبر التاريخ بعدة انماط من الصراع. النمط الاول عبرت عنه الحروب الدينية، ثم جاءت الحروب القومية بين الامم المستقلة. ثم عرف الحرب العقائدية التي طبعت حقبة الحرب الباردة. والان نحن تدخل حقبة يأخذ فيها الصراع بين البشر شكل الحرب بين انساق ثقافة مختلفة. وهكذا ينبغي ان ننتظر عهداً تتواجه فيه، حتى الموت، حضارات كبيرة وقوية وعلمية. ومن الطبيعي ان لا يكون لمثل هذه الحرب أي مخرج سوى انتصار حضارة على اخرى،

صراع
م الخطر
معظمها
بالنمور
الخطر
ما يسمى

اطروحة
ها "وهما"
ستاذ خالد
بأنه (قلما
، فان هذه
الى الاسلام
ين بمثابة
الى الغاء
اريخية او
طها، عن
ه ان لقاء
ه، والحال
تي مغلق،
الاضراب
ن فرانسوا
هجوم التقدم

ب على يد
أ في الفكر

عدد 3- آذار

عدد 3 و 4،

وفرض قيمها ومنظوراتها على الحضارات الخاسرة او المنكسرة. وفي هذه الحالة يصبح التعصب والانغلاق الثقافي والتمسك بالخصوصية الحضارية شرط النجاح في المواجهات القادمة^(١٨).

وبناء على ذلك، من خلال هذا الصراع الذي تطرحه فرضية هنتنغتون، فإن المطلوب في هذا الصراع هو تعيين الثقافة-الحضارة التي سوف تفرض نموذجها على غيرها، وتتحكم-من ثم-بمصير الحضارة الانسانية. ومن هنا، فإن صراع الحضارات لا يمكن ان يعني، وحسب ما يؤكد غليون، سوى حرب الهوية، والحروب على الهوية، وذلك من خلال النقاء العديد من الاستراتيجيات التي تماهي بين الصراعات الثقافية والصراعات الاقتصادية والسياسية^(١٩).

وعلى هذا الاساس، فإن هناك استراتيجية القوى الاشد محافظة في النظام الدولي القائم، وهي التي تريد ان تطمس تناقضات هذا النظام، والدمار الشامل الذي يثيره في كل مكان، وردود الفعل الهمجية التي تصدر عن جماعات همشت وانخلعت عن كل اطار مادي او معنوي ودخلت في حروب ذاتية لا نهاية لها. وهي تريد ان تطمس تناقضات ذلك النظام وتردد المسؤولية عنه بأبراز المصدر الثقافي لهذه الحروب المدمرة، أي المصدر (الطبيعي) الذي لا يمكن لاحد ان يكون مسؤولاً عنه سوى (التاريخ)^(٢٠).

ويؤكد برهان غليون في اطار تشييده لاسس الحوار الحضاري بدلاً من الصراع، هو ان التقارب الحضاري او الثقافي الذي يطمح اليه الحوار سوف لا يؤدي الى انتهاء احتمالات الحرب، ثقافية كانت او غير ثقافية. والدليل على ذلك ان معظم الحروب والنزاعات التي يعرفها العالم اليوم هي حروب داخلية تنشأ وتتطور في حوض جماعات تجمعها ثقافة واحدة، ولغة واحدة، ومرجعيات واحدة، وان اختلفت انتماءاتها القبلية او السياسية او الدينية. ولقد اندلعت اكبر الحروب التاريخية، وهي تلك الحروب التي نسميها حروباً عالمية، بين مجتمعات غربية تدعى اليوم انها ثقافة واحدة وانها تنتظم في نسق حضاري مشترك يقف في مواجهة الانساق الحضارية الاخرى. ان الاختلاف الثقافي ليس هو الذي ينشأ النزاع، رغم ان من الممكن استغلاله احياناً بقوة ونجاح لتأجيج النزاع عندما يصبح حتماً او راهناً لاسباب اخرى هي في معظم الاحيان غير ثقافية، بل بسبب النزوع الى الهيمنة الثقافية من قبل ثقافة على اخرى.

(18) برهان غليون، نقد "صراع الحضارات" و"حوار الحضارات-١- في اصل التفاهم بين الاجناس، مجلة الاداب السورية، العدد 3/4، نيسان/ 2000، ص 45.

(19) المصدر نفسه، ص 46.

(20) المصدر نفسه، ص 46.

وفي هذه الحالة يكون الصراع الثقافي جزءاً من مشروع اوسع للهيمنة الاستراتيجية^(٢١).

ولكن الاستاذ احمد برقايوي يطرح المسألة من زاوية اخرى، وهو زيف السؤال اساساً حول الاشكالية الثنائية بين حوار الحضارات ام صراع الحضارات، لينطلق في عنوان دراسة: لا حوار بين الحضارات ولا صراع ليصل الى نشأة فكرة "صراع الحضارات". واذا كان قد نفى الحوار والصراع على منطق العلاقة بين الحضارات، فإنه يؤكد بأن سؤال العلاقة بين الحضارات سؤال تاريخي. والسؤال التاريخي لا ينبع الا من واقع سيرورة التاريخ. اذن ما منطق العلاقة بين الحضارات؟ ومن هنا، وحسب رايه يتطلب العودة الى تاريخ العلاقة، أي الى الاستقرار للوصول الى حكم عام او قانوني. وقبل ان يجيب عن سؤاله يطرح السؤال بصيغته الزائفة: "حوار ام صراع؟" فالواقع ان الاساس الذي استدعى ظهور السؤال زائفاً هو العلاقة بين الغالب والمغلوب، بل ان خطاب الحضارة السائد الان يعكس هذه العلاقة. فالغرب المنتمي الى الحضارة العالمية المتفوقة -بمعنى عالمية انتشارها- ماسور في ذا الوضع من الغلبة. وذلك ان حضارته انتجت وعياً بالتفوق، وصارت من زاوية وعيه هذا معيار التقدم الحضاري. وهكذا غدا الجزئي كلياً، وصار التقدم التقني والديمقراطية ونمط الحياة الرأسمالية معياراً يقيس عليه الاخر. وبناء على هذا فإن وعي الغرب التاريخي بالعالم المعيشي هو وعي بعالمين متناقضين، وبحضارتين مختلفتين. وبفعل العداء الذي يكنه العربي او الشرقي بعامه، للاروبي يوصف هذا غالباً مهيمناً، فان الاروبي لم ير في علاقته بالآخر الا علاقة تناقض وصراع. ومن هنا نشأت فكرة "صراع الحضارات" لديه^(٢٢).

فالفكرة الاساسية التي تنطوي خلف خطاب صاحب فكرة "صراع الحضارات" كما يراها برقايوي، هو ان وعي هنتغون بالحضارات بوصفها متصارعة، وشبيه بوعي بعض الاسلاميين المعاصرين، باعتبار حضارة الغرب هي اساساً حضارة العداء للإسلام. وبناء على ذلك فإن فكرة هنتغون تنحصر في انتصار الحضارة الأوروبية بما هي نظرة الى العالم، وانتصرت معها اشكال التقدم المتعددة التي تتمتع بها، ولا يمكن اعادة انتاجها في اية حضارة اخرى. اذ ان روح الحضارة الأوروبية خاصة بالاروبيين وحدهم. هذه الحضارة الأوروبية لكي تحافظ على روحها، يجب ان تبيح نفسها بنوع من القوة العسكرية لانها تواجه حضارات اخرى تناصبها العداء^(٢٣).

ذه الحالة
نجاح في

فون، فإن
نحها على
حضارات
وب على
صراعات

في النظام
سامل الذي
وانخلعت
ي تريد ان
ثقافي لهذه
مؤولا عنه

بدلاً من
لا يؤدي
ان معظم
تتطور في
ان اختلفت
وهي تلك
ثقافة واحدة
بها الاخرى
خلاله احياناً
في معظم
على اخرى

(٢١) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٢٢) احمد برقايوي، لا حوار بين الحضارات ولا صراع، مجلة الاداب السورية، العدد ٣/٤، آذار-نيسان ٢٠٠٠، ص ٥٤-٥٥.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٥٥.

بين الاجناس

ويعتقد برقائوي ان فكرة "نهاية التاريخ" لا تختلف في الجوهر عن فكرة صراع الحضارات ذلك ان الاوروبي في مستوى تطوره الراهن هو نهاية التاريخ العالمي. أي ان غائية التاريخ قد وصلت الى منتهاها مع انتصار الاوروبي في الحداثة والديمقراطية. كما وجدت اكتمالها في النموذج الامريكي. وعلى جميع الحضارات الغارقة في وحل التاريخ ان تتحرر من تناقضاتها الطبقية والعرقية والثقافية ان هي ارادت ان تعيد انتاج المثال الاوروبي النهائي.

"الحدود الدموية!"

وفي رده على طروحات هنتنغتون حول "صراع الحضارات"، فإن الاستاذ رضوان زيادة تناول هذه المسألة من ناحية النفي-الظاهرة، حيث ان متغيرات مطلع عقد التسعينات تركت اثارها على المستوى الفكري وتحديداً على صعيد العلاقات الدولية، التي باتت من الملح التفكير جدياً في تغيير قوالبها النظرية ومصطلحاتها البائدة والمتقادمة. لقد حصل فراغ فكري في فترة ما بعد الحرب الباردة، وسقوط نظرية الاقطاب، الامر الذي افضى الى ظهور ارماسات لنظريات تحاول تفسير المعطيات القائمة وتدلي بدلوها في قراءة المستقبل وفق هدى الرقعة التي رسمتها والاحجار التي تعينها. وما يقدمه هنتنغتون، وحسب رضوان زيادة، هو احد السيناريوهات الغربية المقدمة لتفسير الوضع القائم في عالم ما بعد الحرب الباردة، والقائم على الصراع الحتمي بين المركز والاطراف. وضمن هذا الجو المشحون يصب هنتنغتون النار فوق الزيت ويقدم نظريته المحتملة لتتحول الى ظاهرة⁽²⁴⁾.

وهذه "الظاهرة" التي عزفت على وتر حساس لدى الحضارات جميعها تحولت الى كتاب اراد منه ان يحوي بين دفتاه "نظرية كبرى" تمتلك قدرة سحرية على التفسير وتثير في الوقت نفسه اسئلة لا تنتهي. اذ عد بأنه "يمثل تفسير لتطور السياسة الكونية بعد الحرب الباردة كما يطمح ان يقدم اطار عمل او نموذج لرؤية السياسة العالمية"⁽²⁵⁾. ويؤكد زيادة بأنه على الرغم من ان الفرضيات التي قدمها هنتنغتون والتي تحولت الى مسلمات لا تعدو ان تكون احياء لافكار قد رسخها توينبي، الا انها مع ستأخذ ابعاداً اخرى مختلفة، ولم يقف عند الحدود التي قدمها توينبي من التاريخ قائم على اساس الحضارات وليس على اساس الدول، وان الذي يعتبر معياراً أساسياً في هذا التصنيف، لم يتخذ لهجة مشددة ضد الحضارة الاسلامية. وان الدين بالنسبة لهنتنغتون عامل اصلي وثابت وغير متحول مهما اختلفت الوجوه التي يظهر بها، وانه

(24) رضوان زيادة، صراع الحضارات هاجس وخطاب النفي، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٠٤،

خريف ٢٠٠١، ص ٢١٤-٢١٥.

(25) نقلاً عن المصدر نفسه، ص ٢١٧.

يستمع كثيراً بترداد المفكر السياسي الفرنسي ريجي دوبريه: "ليس الدين أفيون الشعوب وإنما فيتامين الضعفاء" (٢٦).

ويشدد هنتنغتون على الاسلام الذي يمثل خطراً على الغرب، واشد الخصوم صراوة. فإنه يرى "ليست الاصولية هي المشكلة المهمة بالنسبة الى الغرب بل الاسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضالة قوته"، مضيفاً ان "للاسلام حدوداً دموية" (٢٧).

ويؤكد رضوان زيادة بأنه من الضروري التصدي النقدي لهذه "الافتراضات" و"النظريات"، ليس لان مكاننا في النظرية هو خط المواجهة الاول فحسب، وإنما لان استشراف مستقبل هذا العالم يخصنا ويضعنا في موضع المسؤولية كما غيرنا لاننا شركاء في المستقبل الذي يجب ان يصنعه الجميع. وعلى اساس هذا الادراك فإن فرضية هنتنغتون في الصدام بين الحضارات او نبوءته، تخفي في داخلها فقراً فلسفياً واضحاً يبرز أولاً رفضه فصل الثقافة عن الحضارة، واعتباره ان الثقافة هي الفكرة العامة في كل تعريف للحضارة، ما سينعكس بدوره على مفهومه عن الحضارة وربطه بالدين. وهذا خلل واضح، اذ ان استخدام مفهوم الحضارة وبالتالي الدين بوصفه المؤشر الاساس للتمييز بين اطراف الصراعات الرئيسية في عالمنا الحالي لا يساعد كثيراً في فهمنا لهذه الصراعات. فمن الواضح، كما يضيف زيادة، ان هنتنغتون لم يترم مقياساً واحداً للتصنيف، فتارة يستخدم الدين للاسلام، والجغرافية للغرب، والعرق للنار فوق السلاف، وحتى ان فؤاد عجمي قد عبر عن رايه قائلاً: "بقلم رصاص حاد ويد ثابتة، يحدد هنتنغتون اين تنتهي حضارة واين تبدأ حضارة اخرى" (٢٨).

واذا كان هنتنغتون قد نجح في اعطاء الصراعات والنزاعات المتفاقمة حالياً على التفسير السمة الثقافية، ولكن ذلك لا يعني هذا الصراع الخاضع بدوره لمتغيرات سياسية، كونه ليس لطبيعة العلاقات التاريخية بين البشر ويضاف الى ذلك فإنه قد سقط في اتون السياسة السيادية واكتوى بنارها وتلبس بوصل ايديولوجيا السياسة ايضاً عندما نسي ان الحضارات لا تسيطر على الدول بل الدول هي التي تسيطر على الحضارات. ليس الا انها مع ضرورة ان يكون النزاع العرقي (او الديني) نزاع حضارياً. اذن ما نفسر ما يحصل التاريخ قائد في ايرلندا الشمالية (٢٩).

رة صراع بالمي. أي

الحدث الحضارات ية ان هي

ان الاستاذ رات مطلع العلاقات ناتها البائدة ووط نظرية المعطيات ابحار التي ات الغربية ي الصراع النار فوق

بعها تحولت على التفسير اسة الكونية ية السياسة تغون والتي الا انها مع التاريخ قائد في ايرلندا الشمالية في ادين بالنسبة

بر بها، وانه

المصدر نفسه، ص ٢١٩.

نقلاً عن المصدر نفسه، ص ٢١٩، وينظر صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات واعادة صنع

، العدد ١٠٤، نظم العالمي، ترجمة طلعت الشايب، اصدار دار الطور القاهرة، ١٩٩٨، ص ٤١٨.

المصدر نفسه، ص ٢٢١.

المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

ويشير رضوان زيادة في إطار تحليله "لظاهرة" الهنتنغونية مستنداً الى عدد من المراجع الموثوقة في طرحه عنواناً فرعياً: الآخر-الهاجس: الصراع-ثأر التاريخ، من ان نظرية صدام الحضارات جعلت هاجس الخوف من عدو محتمل يطفو على السطح ما جعلها اشبه بوثيقة عمل لدى بعض المفكرين والسياسيين الذين عملوا على تأكيدها باستحضار التاريخ او بتعسف قراءة الواقع معتبرين "ان حرب الاسلام مع الغرب تحمل محرضات كامنة، فكرية وعرقية، اضافة الى صراع المصالح"، وتتخلص هذه المحرضات في ان الاسلام مبني على يقين جازم بأنه فوق الاسس التي يضعها البشر⁽³⁰⁾.

ويشير الأستاذ وجيه قانصوره في دراسته المعنوية: "ايدولوجية الحضارات في النظام العالمي الجديد"، بأنه ولئن اراد ان ينهي دورة التاريخ وفق ايدولوجي متفائل يحول العالم الى نسق سياسي واقتصادي واحد، فإن هنتنغون اراد انعاش حركة التاريخ الصاخبة. وراى في وجود الآخر غير الغربي خطراً مؤكداً ومزاحماً صلباً في ظل قانون تنازع البقاء. فالآخر غير الغربي قابل بحكم تكوينه الحضاري على استيعاب النموذج الغربي او السكن داخل جدرانه، وبالتالي فإن الخيار الطبيعي يمكن في قرع طبول الحرب واسترجاع عقيدة الغرب في تكوين الرأي العام، أي ان خيار الحضارات الوجودي هو اما العيش في قوة او الموت. وعلى ضوء ذلك، فإنه استطاع تبرير الترسانة النووية لصانعي القرار الامريكي وتضخم التحالف الغربي كحقيقة حضارية متفردة⁽³¹⁾ ويؤكد قانصوره بأن مقولة "صدام الحضارات" تأسست على معطيات الواقع الراهن وتفاعلاته، وانها وسيلة لارساء الواقع الراهن بصوت المدفع، حيث الهيمنة الامريكية ومركزية الغرب في تشكل العالم⁽³²⁾.

لقد خصص الدكتور محمد عايد الجابري الفصل الخامس من كتابه "قضايا في الفكر المعاصر"، لتقيد الاسس التي قامت عليها نظرية "صدام الحضارات" الهنتنغونية، وتفكيك عناصر افتراضاتها، وتهافت الاستنتاجات التي وصلت اليها، وذلك انطلاقاً من "اننا نحن العرب والمسلمين على راس المستهدفين فيها فمن الواجب المساهمة في فضحها، فضلاً عن وجوب تعميم الوعي بمضمونها واهدافها...". ويتساءل الجابري استطراداً، لماذا توارت فكرة نهاية التاريخ بسرعة واختفت ولم تعد تثير الاهتمام بعد اعلان هنتنغون عن اطروحاته "صدام الحضارات"؟ هل يرجع ذلك، حسب ما يؤكد الجابري الى كون مركز هنتنغون في مجال الدراسات الاستراتيجية والعلاقة مع

(30) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(31) وجيه قانصوره، ايدولوجية الحضارات في النظام العالمي الجديد"، مجلة شؤون الاوسط، العدد

٩٠/٩١، ديسمبر/ك ١-يناير/ كانون ثاني/ ٢٠٠٠، ص ٩٢.

(32) المصدر نفسه، ص ٩٣.

الادارة الامريكية اقوى بكثير من مركز ذلك الامريكي من اصل ياباني، ام لان اطروحة صدام الحضارات انما قصدها ازالة فكرة نهاية التاريخ من مسرح الاهتمام؟. قد يكون للوزن الشخصي دور، ولكن الدور الحقيقي، حسب ما يراه الجابري، هو للوظيفة التي تؤديها الفكرة. ان فكرة "نهاية التاريخ" عن الماضي، وبالتالي تبعث على الاطمئنان على مستقبل امريكا، اذ هي تؤكد على الانتصار النهائي للبرالي، الشيء الذي اثار -مثلاً- التساؤل عن جدوى تخصيص مبالغ هائلة للدفاع في ميزانية الولايات المتحدة تساؤلاً مشروعاً. اما اطروحة "صدام الحضارات" تتحدث عن المستقبل وتندب بخطر المواجهة والحرب وتدعو صراحة الى اخذ الحيطة والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الامريكي وعن المصالح التي يقوم عليها^(٣٣). وهو ما تجسد في عقلية المحافظين الجدد، وما افضت به افكارهم في الحرب الاستباقية، والحرب العادلة.

"الحرب الباردة الحضارية":

وبناء على ذلك فإن "نظرية" صدام الحضارات، وحسب ما يراه الجابري، فانها من الناحية الاستراتيجية السياسية والعسكرية والثقافية تتطوي فعلاً على قضية، حاول مفكرين الغربيين التنظير لها، ثم الترويج لها في حملة اعلامية لم يسبق لها. ويؤكد الجابري بأنه سبق هنتنغتون ان نشر السيد باري يوزان الاستاذ بجامعة ورويك البريطانية، مقالاً في مجلة شؤون دولية بتاريخ ٣/تموز-يوليو/١٩٩١ تحت عنوان "السياسة الواقعية في العالم الجديد: انماط جديدة للامن العالمي في القرن الواحد والعشرين" مقسماً العالم من جديد الى "مركز" و"اطراف": اما المركز فهو "كتلة رئيسية من الاقتصاديات الرأسمالية المسيطرة على العالم" واما الاطراف فهي "مجموعة من الدول الاضعف من النواحي الصناعية والمالية والسياسية تتحرك ضمن نمط من العلاقات التي يشكلها المركز في المقام الاول، اضيف الى ذلك "اشباه الاطراف" وهي الدول الاقوى في الاطراف. والقضية الاساس التي يريد صاحب المقال دراستها من خلال التصنيف الذي ابقى تصنيفات فترة الحرب الباردة، هي مسألة "الامن"، امن المركز تحديداً، الغرب بوصفه "المركز" وبقية العالم بوصفها "الاطراف"^(٣٤). ويعد ان يحدد بوزان التطورات التي حصلت في "المركز" من عودة ظاهرة الدول العظمى، وعزز الرأسمالية الليبرالية، وقيام جماعة امنية تضم المراكز الرئيسية للقوة الرأسمالية، وتعزيز قوة وفعالية "المجتمع الدولي"، فان هذه التطورات انعكست على

الى عدد التاريخ، فو على لوا على سلام مع مصالح، بس التي

حضارات ديولوجي ش حركة

صلياً في

ري على

عي يمكن

ان خيار

ه استطاع

ي كحقيقة

ست على

ت المدفع،

"قضايا في

هنتنغونية،

نطلاقاً من

ساهمة في

الجابري

لاهتمام بعد

ما يؤكد

العلاقة مع

(٣٣) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، حزيران/١٩٩٧، ص ٨٣-٨٤.
(٣٤) المصدر نفسه، ص ٨٨-٨٩.

الامن في الاطراف وذلك في مجالات خمسة: في المجال السياسي، انخفاض قيمة الاطراف، في المجال العسكري، حيث تفشي النزاعات، وفي المجال الاقتصادي حيث بقيت الاطراف اطرافاً بسبب المعوقات الذاتية. ويكرس بوزان اهمية للامن الاجتماعي في مجال علاقة المركز والاطرف، ويعتبر الهجرة وما يسميه بـ "التصادم بين الهويات الحضارية المتنافسة" اهم قضيتين في هذا المجال. اذ ان الهجرة من دول جنوب المتوسط الاسلامية تشكل خطراً على امن دول "المركز"، اذ تهدد هويتها الحضارية. اما المتصادم الحضاري فهو في نظره "اوضح ما يكون بين الغرب والاسلام"، نظراً للتعارض بين القيم العلمانية السائدة في الغرب وبين القيم الاسلامية، ونظراً كذلك للتنافس التاريخي بين المسيحية والاسلام، ولغيره المسلمين من قوة الغرب، اضافة الى الجوار الجغرافي.. ويقول بوزان: "قاذا اجتمع خطر الهجرة وخطر تصادم الثقافات اصبح من السهل وضع تصور لنوع من الحرب الباردة الاجتماعية بين المركز وجزء من الاطراف على الاقل، ولاسيما بين الغرب والاسلام". ثم يضيف: "كما ان تصادم الهويات الحضارية لا يقل قوة على الجانب الاخر من الاسلام، حيث يتجاوز الغرب مع الحضارة الهندية، مثلما يتجاوز مع الاسلام". وهكذا فـ "الحرب الباردة الحضارية المقبلة ستكون بين طرفين: الغرب والحضارتان الاسلامية والهندية من وجهة اخرى وذلك ما سيقول به هنتنغتون مع تعديل واحد هو وضع الحضارة الكونفوشية، مكان الحضارة الهندية"^(٣٥).

ومن هنا، وكما يؤكد الجابري، فان هذه الفكرة نفسها التي يقررها هنتنغتون في مقالته "صدام الحضارات" وفي ظرفية جديدة وبأسلوب صدامي، وان المبدأ الذي يحكم النص هو المبدأ المعروف بـ "الغاية تبرر الوسيلة"، ولجأ الى التعميم واصطناع الغموض والقفز من قضية الى اخرى، انه يقدم "فرضيته" في شكل نبوءة وبأسلوب هجومي، حتى انه يرد وبطريقة غير مباشرة على فكرة "نهاية التاريخ" لفوكوياما، وهي الفكرة التي تقرر انتصار الليبرالية بصورة نهائية، وهذه الفكرة او الاستنتاج يتعارض مع الاستراتيجية الكونية التي تخطط لها الولايات المتحدة. ومن هنا، فانه جاء دور هنتنغتون الخبير في "الاستراتيجية العسكرية" يتصدى بسرعة وعنف لفكرة "نهاية التاريخ". وبما ان افضل استراتيجية لابطال فكرة وقبرها هي الترويج لفكرة العكر دون الدخول معها في جدال صريح. ان فكرة "نهاية التاريخ" بغرابتها واستفزازها للمنطق والتاريخ معاً، لم يمحوه الا الصدع بفكرة اكثر غرابة واشد استفزازاً، فكر "صدام الحضارات"^(٣٦).

(35) نقلاً عن المصدر نفسه، ص ٩٠-٩١-٩٢.

(36) المصدر نفسه، ص ٩٤-٩٥.

فقد كانت مهمة فكرة "صدام الحضارات" ترتيب حوادث التاريخ بالشكل الذي يجعل النتيجة المتوخاة تأتي كمرحلة حتمية من التطور التاريخي، حيث الحروب والنزاعات العسكرية لتصب في مرحلة مقبلة هي الصراع، وهي مرحلة "صدام الحضارات"، أي بين الحضارات الغربية والحضارات الأخرى. وهذه التصورات، كما يؤكد الجابري، مبنية على مغالطات عديدة حتى أنه يتجاهل عن الحروب الدينية في أوروبا وعن الحرب الأنكليزية-الأمريكية، والحرب الأمريكية-الفيتنامية. وإذا كان هناك صراع في المستقبل فسيكون بين الأمم والشعوب المتطلعة إلى الحرية والديمقراطية مع القوى الامبريالية المهيمنة، تحت أي غطاء كانت^(٣٧).

ويشير الجابري بأنه بالإضافة إلى التصنيفات التي يقدمها هنتنغتون التي يقدمها ما بين الثقافة والحضارة وفعال حدود التمايز بين الحضارات، فإنه ينتقل إلى مغالطة على مستوى العلاقة بين الحضارة والأيديولوجيا، والغرب والنخب، والانتماء الغربي، والانتماء الطبقي، والديني والسياسي. وإذا كان الدين هو العنصر الأهم في التمييز بين الحضارات، فلماذا لا يسمى جميع الحضارات بأسم الدين الذي تعتنقه وستكون عندنا حينئذ الحضارات التالية: الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية والحضارة البوذية، إلا أنه يستخدم الدين فقط لتمييز الحضارة الإسلامية وحدها^(٣٨).

ومن خلال تحديده للحضارة الإسلامية التي تحدث الغرب المسيحي منذ أن وصل العرب إلى مدينة تور الفرنسية عام ٧٣٢، ثم الحروب الصليبية، فإنه تاريخ سلسلة من الحروب المتجددة. ويطالب من الغرب أن لا يعمل على نشر الديمقراطية في العالم الإسلامي "أنها تؤدي إلى تعزيز القوى السياسية المناهضة"، وهو ما يكشف عن موقف الغرب بالديمقراطية وحقوق الإنسان بالنسبة للشعوب غير الغربية^(٣٩).

وينتهي صاحب نظرية "صدام الحضارات" إلى الاعلان صراحة بعد أن يقرر أن العلاقة بين الغرب والإسلام ستكون علاقة صدام حضاري، بأن "لإسلام حدوداً صلبة" وهو الذي كان مسؤولاً عن كل الصدمات والحروب التي اندلعت على حدود الفصل بين الحضارات التي كانت دائماً "حدود التوتر"^(٤٠). وينتهي الجابري إلى وصف هذه "الافتراضات" وما احتوته النظرية، بأنه لم يكن إلا "منطق القبليّة" الذي يحكم تفكير هنتنغتون.

أما الكاتب السعودي الأستاذ تركي الحمد فيري من جانبه في قراءاته لأفروحات هنتنغتون وفوكوياما، بأن كلا الكتابين يصلان إلى نتيجة واحدة، وأن

٣٧ المصدر نفسه، ص ٩٩-٩٧.

٣٨ المصدر نفسه، ص ١٠٤.

٣٩ المصدر نفسه، ص ١١٧.

٤٠ المصدر نفسه، ص ١١٨.

اختلفت بهما السبل لدرجة التناقض الظاهري. وهي ضرورة استمرار سيادة الغرب حضارياً وسياسياً. فصموئيل هنتنغتون يصل الى هذه النتيجة عن طريق "ما يجب ان يكون عليه الوضع" وذلك حين يفصل فصلاً قاطعاً بين الغرب والبقية، ويضع الحضارة الغربية في مواجهة صراعية مع بقية الحضارات التاريخية في هذا العالم. ويطلب من صانعي القرار في دول الغرب ان يأخذوا هذه الفكرة بصفتها "حقيقية"، في الاعتبار والعمل على استمرار السيادة الغربية عن طريق اقامة تحالفات "حضارية بين دول الغرب ذات الثقافة المشتركة مع الولايات المتحدة بصفة خاصة، اما فرانسيس فوكوياما، وحسب ما يؤكدته الحمد، فيصل الى ذات النتيجة عن طريق ما يعتبره من مسائل الحتم والضرورة، وذلك حين يحاول طرح فلسفة انهيار الكتلة الاشتراكية وانتهاء الحرب الباردة تاريخياً، بحيث يعلن انتصار الديمقراطية الغربية والمشروع الحر هو نهاية التاريخ وان سيادة الغرب الرأسمالي والديمقراطي قد اصبحت نهائية ولا مجال لتغييرات جذرية عميقة في التاريخ القادم للانسان، التغييرات القادمة التي تعدو التفاصيل، ومدى سرعة الدول والشعوب الاخرى في الوصول الى النموذج النهائي، أي النموذج الغربي.

وبناء على ذلك، فان الاستاذ تركي الحمد يؤكد بأن كلا الكاتبين كان يقوم بارسال رسالة خاصة الى السياسة الخارجية الامريكية، موصياً فيها بما يجب ان تكون عليه هذه السياسة أي هناك "مشروع معين" للسياسة الخارجية الامريكية⁽⁴¹⁾، وهو ما اتضح في الخطوط العامة التي طرحها "مشروع القرن الامريكي الجديد"، حيث يشكر مشروع الشرق الاوسط الكبير، المشروع الفرعي المتوجه نحو المنطقة لاغياً حدوده الجغرافية، وهوياتها القومية، وذلك لاذبتها في هويات، وعرقية، واثنيات متعددة يفترض الصراع بينها، والتي تشكل بالمقابل خطر يهدد الغرب، ولا بد من اعادة بناء من الداخل على وفق الصيغ والآليات "الجديدة"، بدلاً من تركها بوراً تفرغ الارهاب والمنظمات الارهابية.

(41) تركي الحمد، صراع الثقافات بين السياسة والتاريخ (٢٠١-٢)، صحيفة الاتحاد الامارتية، العدد ٩٦٧٠، الاربعاء، ٢٦/ديسمبر/٢٠٠١، ص ٣٠.